المحسنات البديعية في البلاغة العربية

علم البديع هو علم البلاغة العربي الذي يُعنى بإبراز الوجوه والخصائص التي تزيد الكلام جمالًا ورونقًا، وهو ينقسم إلى قسمين رئيسيين: المحسنات المعنوية التي ترجع زينتها إلى المعنى (مثل الطباق والمقابلة والتورية)، والمحسنات اللفظية التي ترجع زينتها إلى اللفظ بشكل أساسي (مثل الجناس والسجع والاقتباس).

أولاً: المحسنات المعنوية: فهي التي تتعلق بجمال المعنى وتوضيحه بأسلوب بليغ ومؤثر.أمثلتها:

الطباق: الجمع بين الشيء وضده في الكلام.

أنواع الطباق:

أ – طباق إيجاب: إذا اجتمع في الجملة الكلمة وعكسها.مثال: طويل وقصير، حار وبارد ، خير وشر.

ب – طباق سلب: هو أن يجمع بين فعلين (مثبت ومنفي) أو (أمر ونهي).

كقول الله تعالى : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ)،وقوله تعالى :(فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْن).

المقابلة: تأتي في الشعر والنثر، وهي أن يؤتى بمعنيين أو أكثر أو جملة، ثم يؤتى بما يقابل (عكس) ذلك على الترتيب.

مثال: (اللهم أعطِ منفقًا خلفًا وأعطِ ممسكًا تلفًا)

وكقول الله تعالى: (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِث)

الأثر الفني للطباق والمقابلة : تقوية المعنى وإبرازه وإيضاحه وإثارة الانتباه عن طريق ذكر الشيء وضده

التورية: وتأتي في الشعر والنثر، وهي ذكر كلمة لها معنيان أحدهما قريب ظاهر غير مقصود والآخر بعيد خفي وهو المقصود و المطلوب

مثل : قول الشبراوي : فقد ردت الأمواج سائله نهراً .

سائله : لها معنيان الأول قريب وهو " سيولة الماء " ، ليس المراد . الثاني بعيد و هو " سائل العطاء " و هو المراد .

نهراً: لها معنيان الأول قريب وهو " نهر النيل " ، ليس المراد .

والثاني بعيد و هو " الزجر والكف " و هو المراد .

• قال حافظ مداعباً شوقي :

يقولون إن الشوق نار ولوعة .. فما بال شوقي اليوم أصبح بارداً

(شوقي) شدة الشوق (شوقي)اسم الشاعر غير مقصود وهو المقصود

• فرد عليه شوقي قائلاً:

وحملت إنسانا وكلبا أمانة .. فضيعها الإنسان والكلب حافظ .

(حافظ) صانها (حافظ) اسم الشاعر

غير مقصود وهو المقصود

حسن التعليل: أن تُعللَ الشيء بتعليلٍ مناسبٍ لم يخطر بالبال، مثل قول الشاعر في وصف حُمَرِ الخدود: "لولا الحياء لهاجتني في فَعَالي... ولفاضَ نحري بالدموع السوابعِ"، فقد علل حُمرة وجهه بالدموع.

مراعاة النظير: وتأتي في الشعر والنثر، وهو الجمع بين الشيء وما يناسبه في المعنى بشرط ألا يكونا ضدين

مثل: سناء تقرأ ورانيا تكتب.

مثل قول المتنبي:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قيمته الفنية: تقوية المعنى ، وتأكيده.

ثانياً: المحسنات اللفظية:

هي تلك التي تعتمد على تحسين جمالية الألفاظ بشكل خاص، من دون الإخلال بالمعنى الأصلي للنص من أمثلتها:

الجناس: تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى. ، وهو نوعان:

أ- **جناس تام:** و هو ما اتفقت فيه الكلمتان في أربعة أمور : (نوع الحروف- عددها- ترتيبها- ضبطها، مثال : (صليت المغرب في أحد مساجد المغرب) وكقوله تعالى :(وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَة) (يقيني بالله يقيني) (أَرْضِهم ما دمت في أَرْضِهم)

ب- **جناس ناقص** مثل: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من أربعة أمور : (نوع الحروف- عددها – ترتيبها- ضبطها) مثل:

- **الاختلاف في نوع الحروف** : كقول أبي فراس الحمداني : من بحر شعرك أغترف وبفضل علمك أعترف
- **الاختلاف في عدد الحروف** : مثال : إن الهوى هو الهوان
- **الاختلاف في الترتيب** : كقول أبي تمام : بيض الصفائح لا سود الصحائف
- **الاختلاف في الضبط :** كقول خليل مطران : يا لها من عَبْرَة للمستهام وعِبْرَة للرائي

سر جمال الجناس : يعطي جرساً موسيقياً تطرب له الأذن الذهن.

السجع: اتفاق أواخر الفواصل في الجمل المتتالية في النثر، مما يُعطي جرساً موسيقياً للكلام. السجع :

ويأتي في النثر فقط وهو توافق الفاصلتينِ في فِقْرتين أو أكثر في الحرف الأخير.

أو هو توافق أواخر فواصل الجمل الكلمة الأخيرة في الفقرة، مثال:

(الصوم حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخشوع لله وخضوع).

سر جمال السجع : يوقع جرساً موسيقياً يثير النفس وتطرب له الأذن.

الاقتباس: هو أن يُضمّن المتكلّم (نثرًا أو نظمًا) جزءًا من كلام الله تعالى أو كلام الرسول صلى الله عليه وسلم دون الإشارة إلى مصدره.

من القرآن: كقول الشاعر: "فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب" وهي من قول الله تعالى: {فَمَا كَانَ فَيَكُمَا إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ}.

من السنة النبوية: كقول الحريري: "وكتمان الفقر زهادة، وانتظار الفرج بالصبر عبادة"، وهي تضمين لقوله ﷺ: "انتظار الفرج بالصبر عبادة".

سر الجمال: يزيد من قوة النص وجماله وتأثيره.

التضمين: هو أن يستعير الشاعر جزءًا من بيت أو بيتًا كاملًا من شعر شاعر آخر ويدخله في نظمه الشعري، ويُظهر الشاعر ذلك المقطع في سياق قصيدته.

أمثلة:

مثال البيت الكامل: بيت بشار بن برد: "وإنَّ العيون التي في طرفها حوَرٌ قتلننا ثم لم يُحْيِينَ قَتْلَانَا" هو تضمين لبيتٍ قاله جرير.

مثال الجزء من البيت: قول القائل: "ما في وقوفك ساعةً من بأس" هو تضمين لجزء من بيت لأبي تمام.

سر الجمال: يبرز براعة الشاعر في حسن التنسيق والربط بين كلامه والكلام المضمن وكأنّه من تأليفه.